

تكامل المنهج في مقارنة النصوص الأدبية قراءة في محاولات التأسيس لمنهج تطبيقي في تحليل النصوص الشعرية من خلال نماذج (عبدالله الغدامي. محمد لطفي اليوسفي. أمنة بلعلي)

فريدة بوزيداني

المدرسة العليا للأساتذة - الجزائر

تمهيد :

إن النص النقدي العربي الحديث كان دائم الحضور والمتابعة لكل جديد في الساحة النقدية الغربية وقد أفاد من هذا الحضور القوي في مقارنة الخطاب الأدبي، نجد من المشتغلين في النقد نخبة حاولت - بدل الخوض في تطبيق مناهج غربية على النص العربي مباشرة - التأسيس لمنهج خاص يعتمد على مجموع قراءات للمناهج المعاصرة، واستخلاص لما يخدم خصوصية النص العربي، هذه الخطوة تكمن في مقارنة النصوص الأدبية وفقا لما تمنحه هذه النصوص نفسها، ولأجل هذا عمدت حركة النقد هاته إلى النظر لأول خصوصية يتميز بها النص العربي عن غيره من النصوص الغربية وهي انتماؤه، فبدأت بناء مشروعها النقدي المميز لها بإعادة النظر في كثير من القضايا والطروحات النظرية والتطبيقية مستمدة من التراث العربي ومن النظريات النقدية الغربية والمناهج الحديثة ما يساعدها على تأسيس حركة نقدية خاصة بالأدب العربي الحديث ككيان مختلف عن الأدب الغربي دون أن يكون غارقا في جلاباب القديم، وهذه الحركة النقدية تحاول استثمار المعطيات النقدية الغربية دون إهمال للرصيد التراثي وهذا ما تسجله الساحة العربية ممثلا في حضور بعض الأسماء التي كرسَتْ جهودها لخدمة هذا المشروع .

محاولات التأسيس لمنهج تطبيقي في تحليل النصوص :

عبد الله محمد الغدامي والبحث عن النموذج :

عندما نتحدث عن الغدامي فإننا نكون أمام فارس بل و فاتح من الفرسان القليلين الذين تعرفهم الساحة النقدية العربية ، فالنص هو المضمار له و هو المغامر يحكي مغامراته الغدامي في كتاباته هو التراثي الثقافة بالإضافة إلى ثقافته الغربية الواسعة ، و قد حاول التأسيس في كل كتاباته لمشروع نقدي عربي تمتد جذوره عميقة في التراث دون إغفال لما يسمح به جديد الساحة النقدية الغربية ، ففي كتابه " الخطيئة و التكفير ، من البنيوية إلى التشريرية " نجده ينطلق من التحديدات النقدية الغربية (من تشخيصات رومان جاكبسون لوظائف اللغة إلى تداخل النصوص عند كريستيفا ، إلى رولان بارث) ليتذكر بجدارة الناقد الفذ حازم القرطاجني في منهاج البلغاء و سراج الأدباء و الجاحظ لا ليقرن بين مجهودات هؤلاء بل ليذكرنا أن ما تحدث عنه الغربيون و العرب القدامى هو أسماء لحدث انحرافي ساحر يقودنا إلى اعتبار واحد و هو أن النص " جسد حي على حد وصف العرب له _ كما نقل عنهم بارث _ (لذة النص) ، وما دام النص جسدا ، فلا بد أن يكون القلم مبضعا يلج إلى هذا الجسد لتشريحه من أجل سبر كوامنه

جامعة قاصري مبراح - ورقة - (الملتقى الوطني للدراسات في ورئاسة اللغة والأدب يوم 26-27 أكتوبر 2011

و كشف أغازه في سبيل تأسيس الحقيقة الأدبية لهذا البناء ، أي أن ذلك تفكيك و نقض من أجل البناء و ليس لذات الهدم . (الخطيئة و التكفير ، ص 88)

كما يقول هو في كتابه سابق الذكر " انصب على تأصيل بعض المفاهيم الحديثة في التراث و تكريس منهج لمقاربة النصوص الإبداعية قائم على أسس واضحة مستمدة من التراث غير مهملة لجديد النقد الغربي أيضا ، او كما يقول في كتابه " ثقافة الاسئلة " لكي يتكلم النقد بالعربية " و في كتبه الأخرى " الموقف من الحداثة و مسائل أخرى " و المشاكلة و الاختلاف " المرأة و اللغة " ، تأنيث القصيدة و القارئ المختلف " و " النقد الثقافي " نجده ينحو إلى محاولة جادة تفرض نفسها في الساحة النقدية العربية و لكي يجسد هذه المحاولة فهو لا يتوانى عن المناداة بضرورة الممارسة التطبيقية ، لأن النقد لا يكون كذلك إن لم يشرح لنا النظرية و هي مكرسة في النص ، و ليس أدل على ذلك من كتاباته التي ينتقل فيها بين الشعر الجاهلي و الشعر العربي المعاصر ، فالغذامي و كما هو معروف عنه يوظف مصطلحات نقدية جديدة في تطبيقاته ، و بعض هذه المصطلحات يستلهمها من التراث العربي و قد سعى الناقد إلى بناء نظرية في تكاملها و تواصلها في كتبه الموالية " ثقافة الأسئلة " و " المشاكلة و الاختلاف ، قراءة في النظرية النقدية العربية و بحث في الشبيه المختلف " ، فالنص كما أراد أن يؤسس له الغذامي هو ذلك النص المختلف (و قاعدة الاختلاف مبدأ نصوصي يصل بجذوره إلى الجرجاني) ، هذا النص يؤسس لدلالات إشكالية (النص شبكة من الدلالات المتصلة فيما بينها من حيث البنية ، لكن منفتحة من حيث الإمكانات الدلالية المختلفة) و النص يتشاكل بوصفه (لغة) مع الأشياء بوصفها (واقعا مقرر سلفا) .

محمد لطفي اليوسفي و المغامرة

نقرأ محاولة أخرى لناقد آخر مجد في مجاله هو الناقد التونسي محمد لطفي اليوسفي إذ نجده يحاول أن يؤسس لمنهج تطبيقي في تحليل النصوص الشعرية العربية معتمدا في ذلك على رؤية قائمة على "التغاير" كما يقول و يعني به " الوقوف على ما تحجب في صميم الثقافة العربية من قوى متكتمة على نفسها في صميم النصوص الإبداعية لائذة من الواقع بأصقاعه المحجبة ... " ص 6 ، " في بنية الشعر العربي المعاصر " ، و يعتمد اليوسفي في دراساته منهجا اعتبره قائما على مسلمتين :

" _ تخص الأولى كيفية التعامل مع النظريات الحديثة و المناهج المبتدعة تعاملًا خاصًا هدفه الوقوع على القوى المحركة لتلك النظريات و المناهج قصد الاغتناء بها و عدم الاكتفاء بتطبيقها قهرا و اغتصابا .. و النظر فيها ليس حلولا في رحابها و امحاء في تلاوينها ، بل هو ضرب من .. تمثل قواها المحركة ، و ممارسة نوع من الترحال بعيدا عنها لبناء القوى الذاتية الخاصة

_ تتعلق الثانية بالنظر في منجزات السلف ... لا باعتبارها تراثا تفصلنا عنه القرون ، بل بالانطلاق من الوعي التام بأنها حالة فينا ، تحيا معنا ، منقوشة كالوشم في صميم ذاتنا ، لذلك لا بد من تمثيلها و تفهمها قصد تحقيق حدث التملك ... للشروع في بناء ما لم يفكروا فيه ... " ص 7 " في بنية الشعر العربي المعاصر .

جامعة قاصدي مرباح - ورقة - (الملتقى الوطني للدراسات والبحوث في دراسة اللغة والأدب يوم 26-27 أكتوبر 2011

وفقا لهذا الطرح فإن القراءة النقدية تصبح حدثا غاية في الأهمية والخطورة ، إنها تمثل فعل احتواء للنص ، فهي ليست فعلا بريئا وليست مجرد شرح للنص أو تقييم له ، بل إنها تعني أيضا الوقوف عند الأسئلة التي يثيرها حضور نص ما في ثقافة ما عبر كل تاريخها ووفقا لهذه النظرة فقد توجه الناقد إلى مقارنة النصوص من داخل النصوص نفسها بدراستها تفصيليا ، انطلاقا من أن كل نص يتميز ببنية خاصة ، ثم القيام برصد حركات النص وتفكيك رموزه وعلاقاته الداخلية والرؤية التي يبثها وبهذا الشكل يمكن الحفاظ على وحدة النص كنص شعري متميز بخصوصياته المتمثلة في تشابك عناصره وتناغمها وأيضا " ... التمكن من ضبط الطريقة التي تعمل بموجبها تلك العناصر أي عندما تتفاعل ويشارك بعضها في تأسيس البعض الآخر أو في بلورته ، ثم تلتقي في النهاية لتشكيل نسيجها خصوصا من الكلام يتفرد به الشعر " ص 25 " في بنية الشعر العربي المعاصر " .

آمنة بلعلي والأبجدية الجديدة :

نقرأ للناقدة الجزائرية آمنة بلعلي محاولاتها الجادة في رسم تفاصيل مثل هذا المنهج التطبيقي ، ففي كتابها " أبجدية القراءة النقدية ، دراسة تطبيقية في الشعر العربي المعاصر " تتحدث عن المقاربة الأسلوبية القائمة على الكشف عن توظيف الرموز عند شعراء الحداثة الرواد " السياب ، صلاح عبد الصبور ، خليل حاوي ، وأدونيس وتعتمد الناقدة المنهج التطبيقي للتأكيد على أن الرمز بكل طاقاته التي يجتويها " كأنه الطاقة الدلالية التي تشد شروخ النص وتفصيله ولذلك يصعب الفصل بينه وبين بقية العناصر إلا نظريا " ص 3 " أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة " ولا تركز حديثها على الرمز إلا متزامنا مع حديثها عن الصورة واللغة باعتبارهما وحدتين أساسيتين في بناء الرمز وخلق سياق التجربة ورسم معالم الرؤية التي تحددها ، كما تؤكد الناقدة على أهمية الأخذ بعين الاعتبار للظروف التي أنتجت النص إذ " تأكد للجميع أنه لا بد من التعامل مع النص من الخارج ليس من باب إسقاط الظروف الاجتماعية والسياسية والنفسية عليه ، ولكن من أجل الاقتراب أكثر من بنيته ، ونظامه ، ومميزاته ، لأن النص بنية تنتجها ذات ضمن بنية سوسيو نصية ، ومن ثم نتمكن من الكشف عن شعرية أو ما يعرف اليوم بنصية النص .

كانت هذه قراءة في بعض المحاولات النقدية المتميزة بنزوعها نحو التأسيس لمنهج تطبيقي يتعامل مع النصوص مباشرة والجامع المشترك بين كل هذه المحاولات هو هذه النظرة المستغلة لما يسمح به الدرس النقدي الغربي دون إهمال للرصيد التراثي العربي ، وأيضا اتفاقهم على التأسيس لمنهج تطبيقي لتحليل النصوص بدل الاكتفاء بالطروحات النظرية .

جاءت قراءتي مقتضبة _ لما يقتضيه المقام _ تفادات التعمق في تفاصيل هذه المحاولات لأن كل ناقد يستحق كثيرا من التوقف .